الأهرام

المصدر: جريدة الجرائد العالمية

التاريخ : ١٨ اكتوبر ٢٠٠٥

تغيير نظام بشار الأسد مسألة وقت ولكن قد تحدث فوضى

صحيفة "هيرالد تريبيون" الدولية ٢٠٠٥/١٠/٥

بقلم: فولكر بيرتس ترجمة: أحمد الدقن

الشرق الأوسط

لقد وصل النظام الحاكم لبشار الأسد إلى مرحلته النهائية، حتى لو تمكن من أن يتشبث بالسلطة لشهور أو سنين. فهذا هو الواقع تقريبا، بصرف النظر عما سيقوله «ديتليف ميليس» -محقق الأمم المتحدة المكلف بالتحقيق في ملابسات اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري- في تقريره بشأن الدور المزعوم لسوريا في تلك الجريمة كما أن توجيه اتهام لمسئولين سوريين كبار يمكن أن يدفع بالأمور -بالطبع- إلى الأسوأ وينفس القدر إلى الأفضل.

لكنه حتى إذا لم يجد ميليس دليلا على تورط سورى مباشر، فإن هذا النظام الحاكم سيجد أنه من المستحيل عليه تقريباً أن يخرج من عزلته الدولية. ويتغلب على افتقاده للشرعية الداخلية.

فالولايات المتحدة تتهم سوريا بتقديم دعم نشط للتمرد فى العراق. كما أن دمشق أزعجت فرنسا الدولة الصديقة الرئيسية لها فى أوروبا، واستنفدت صبر دول الاتحاد الأوروبى الأخرى التى كانت تعمل منذ وقت طويل على الاحتفاظ معها بحوار بناء حول المسائل الداخلية والاقليمية على السواء وبالاضافة إلى ذلك، أفسدت سوريا علاقاتها مع السعودية أهم حليف عربى لها بسبب قمعها لمعارضيها فى لبنان.

والأمر الأكثر أهمية هو أن نظام حكم الأسد قد افتقد الثقة والتأييد من جانب الكثيرين من المواطنين والنخب فى سوريا. وأدى سوء إدارة هذا النظام لشئون لبنان إلى إنسحاب مخز وجعل سوريا أمام تحقيق دولى ينتهك على نحو كبير سيادتها. لقد أساء الأسد فهم التطورات الدولية والاقليمية الكبرى، وبالتالى عزل سوريا دوليا وأخفق فى تحقيق أى إصلاح سياسى.

ومن ثم، كيف سيحدث فى النهاية التغيير فى سوريا؟

إذا أخذنا فى الاعتبار عدم وجود حركة مدنية منظمة وقوية يمكن أن تقود ثورة على غرار النموذج الأوكرانى أو الجورجى، فإن هناك ثلاثة سيناريوهات محتملة.

أولا: يمكن أن يبدأ الأسد فى التحرك لتغيير النظام من القمة. وقد يلقى بالمسئولية فى الأخطاء التى وقعت خلال السنوات الخمس الماضية على زملائه فى السلطة ويحيلهم إلى التقاعد ويطلق سراح السجناء السياسيين ويعلن عن إجراء انتخابات برلمانية حقيقية فى غضون عام تقريبا على أن تعقبها انتخابات رئاسية تنافسية. وفى الوقت نفسه قد يقرر الأسد أن الأمر الأهم من منظور المصلحة الوطنية السورية أن يمنع حدوث حرب أهلية فى العراق منه عن إشباع رغباته فى رؤية الأمريكيين يفشلون.

وسيتطلب حدوث هذا السيناريو وجود قيادة قوية. ولذلك وللأسف، من غير المحتمل حدوث هذا السيناريو. فلا يبدو أن الأسد ومعظم زملائه فى السلطة يفهمون العالم من حولهم. فالأسد ببساطة ليس مؤهلا للوظيفة التى ورثها. وهو الأمر الذى يدركه عدد متزايد من السوريين بمن فيهم الكثيرون ممن هم فى مناصب أمنية وعسكرية رفيعة.

لذلك، يخشى الكثيرون من السوريين حدوث سيناريو مختلف تماما وهو أنه: إذا زاد النظام الحاكم السورى من عزلته وكذلك إفتقاده للشرعية الداخلية من خلال عدم الإقدام على عمل شىء، فيمكن أن تتفكك الدولة السورية بشكل تدريجى. فالسوريون -أيا كانت طائفتهم أو طبقتهم- ليسوا على استعداد لأن يقبلوا بنظام حكم يقود بلادهم إلى أن تكون تحت حصار عالمى، على غرار ماحدث لـ«بيلاروس».

فإذا أخذنا فى الإعتبار إفتقاد المجال السياسى الذى من شأنه أن يسمح بظهور بدائل سياسية، فقد تتخذ المعارضة ضد النظام الحاكم أشكالا بغيضة. وبالفعل، فى غضون الأسابيع والشهور الأخيرة، تطورت خلافات محلية واضطرابات سياسية

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

صغيرة إلى إضطرابات عرقية- طائفية. وأصبحت الدولة على نحو واضح تفقد سلطتها وبالأخذ فى الاعتبار مخاطر التفكك، يرى عدد متزايد من السوريين إمكانية وقوع سيناريو ثالث على نحو حتمى تقريبا وهو الذى يتمثل فى إنقلاب عسكرى، وسيقود استيلاء كهذا على السلطة شخص ما من كبار الرتب العسكرية والذى سيكون أيضا عضوا فى الطائفة العلوية التى ينتمى إليها الأسد.

وفى الشرق الأوسط اليوم، قد تكون الانقلابات هى الاحتمال الوحيد إذا جاءت مع تعهد موثوق فيه بإحداث تغيير ديمقراطى. وأى ضابط عسكرى ممن سيزيح الأسد وحاشيته سيتعين عليه بالتالى أن يسمح بتكوين قوى سياسية وإجراء انتخابات حقيقية فى الوقت المناسب . وسيحظ برنامج كهذا بتأييد حتمى من الطبقة البرجوازية فى دمشق وحلب، وكذلك من الموظفين العموميين والمفكرين وحتى الكثير من أعضاء حزب البعث. لكن استيلاء شخص ما- على نموذج مشرف حاكم باكستان- على السلطة فى سوريا لن يكون مخرجا من العزلة الدولية المفروضة على سوريا، بل إنه قد يكون الحل الأقل سوءاً لأزمة سوريا.

إن لأوروبا والولايات المتحدة مصلحة قوية فى أن يحدث تغيير فى دمشق وفى أن يكون هذا التغيير بدون فوضى أو انهيار الدولة وعلاوة على هذا، ينبغى أن يأتى التغيير من الداخل. فالتوهم بأن السوريين سيرحبون بتغيير النظام الحاكم من الخارج يقلل من تقدير شأن الحركة الوطنية السورية على الأقل مثلما حدث بالنسبة للحركة الوطنية العراقية قبل حرب العراق.

وإذا قرر الأسد تغيير حركة الأحداث وأن يتعاون مع المجتمع الدولى وأن يشرع فى تنفيذ إصلاح سياسى حقيقى، فيتعين أن تكون الولايات المتحدة وأوروبا على استعداد لأن تقدم العون له. ولكن إذا تم اتهام مسئولين سوريين كبار فى تقرير ميليس، وإذا رفض الأسد التعاون، فإنه يجب على الغرب أن يفرض عزلة على نظامه الحاكم- على ألا تتم معاقبة الشعب السورى- كذلك على الدول الغربية أن تشير إلى إستعدادها للعمل مع خلفاء هذا النظام الحاكم فى سوريا.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية